الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تربية المدرسة المارونية

اثبتنا مبادئ تاريخ المدرسة المارونيّة ونظامها وتدبير شؤونها الماديّة والادبيّة مع ترجمة قوانينها وما نالتهُ من كرم الاحبار الرومانيين من الامتيازات المشعة فضلاً عن الاوقاف الكافية لمعاش تلامذتها

وبقي الاب يوحنا برونو على رئاسة المدرسة المارونيّة في مقامها الجديد من السنة ١٥٨٤ الى ١٥٩٠ وهو يبذل جهدهُ في تمهيد العقبات التي كان يلقاها في طريقهِ مدّة تلك السنين الاولى فذلّلها بحكمتهِ وحسن نظرهِ . وقد ساعدهُ كثيرًا على ذلك الكردينال انطون كرافا محامي الطائفة المارونيّة الذي كان يعتبر هذا المشروع كأعظم خدمة يؤديها للكنائس الشرقيّة ليعيد لها رونقها القديم

ولمّا عاد الاب جوان باطشتا اليانو الى رومية سنة ١٥٨٥ بعد محنتهِ الشديدة في سفارتهِ الى الاقباط عهد اليهِ البابا سكستوس الخامس خلفُ غريغوريوس الثالث عشر وكالة التأنين العظمى فبقي عليها الى سنة موتهِ في ٣ آذار سنة ١٥٨٩ . وكان في تلك المدّة لا يدّخر وسعاً في خدمة المدرسة المارونيّة ونجاحها وكان يكاتب معارفهُ في لبنان ويرسل لهم الصدقات وآنية التقديس ويطّلع على احوالهم الدينيّة . وممّا وقفنا عليهِ في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة المكتوب التالي ارسلهُ الى الاب اليانو من طرابلس في ١١ ايلول سنة ١٥٨٦ ثلثةٌ من اهلها بهذا الامضاء « يوحنا ويوسف وسركيس » ولعلهم كهنة طرابلس الموارنة

السلام الباقي على الاب المكرّم المحب والاخ بالمسيح التس باطيشتا سلّمهُ الله تعالى من كل شرّ وبرحمتهِ الرب ببركة صلواتهِ المقدّسة آمين

ثمّ نعلم سيدنا وعزيزنا اننا نحن بعون الله وبصلواتك طيّبين وشاكرين الله لسمعنا بسلامتك

اذ جئت من مصر طيّب . وانهُ قد وصل الينا من فضلك على يد الخواجا فرنسكو (١ كأس وصينيّة فضّة مطليين ذهب ومبخرتين وقنديل وسطل وسخّانة نحاس لغسل اليدين واشحيم فرنجي وعتيقة (٢ . واما دوايات الكتابة الذي اوصاك عليهم القس جرجس والبلسم (والبلسم) فاذا بعثت لنا منها شيْ . ونريد من فضلك واحسانك ان تبعث لنا عودة قدّاس كاملة وتاج وبلم وكتاب العتيقة يكون بخط عبراني ولفظ سرياني مثل الصغير الذي كان معك والدهن الذي وعدتنا به لقطع الدلف . واكتب لنا حقّ الحوائج الذي تبعثهم لنا كم تكون حتى نرسل لك حقّها كما يريد خاطرك . ونريد من فضلك ان تقبل لنا ايادي سيّدنا البابا وتشاوره ان يرسل لنا ورقة من جهة الصوم والاعياد حتى بدستورهِ نمشي على ربتكم لانّ ذمّتنا تدلّنا باختلاف الطائفة عنكم

اما امر القس سركيس فهكذا كان . لمّا اراد البطرك ان يرسل الحصروني ام حبقوق ام غنطوس ما احد منهم اراد ان يدخل رومية من شأن خمّ الاسطا (كذا) . ومن بعد ما جلب البطرك واحدًا منهم جاء لعندنا وقال : أبعث القس سركيس . وتوافقنا معهُ وقنا هنأناهُ . ومن بعد ما وصلتْ لطرابلوس قام البطرك والحصروني عملوا شور غير ذلك ما عرف ايش بدا لهم ومن ايش الرب يعلم . كنت بعتهُ من كل قلبي لكن الحصروني جاءنا خبر انهُ تكلم غرائب وقال انا كنّا طلبنا ان تأخذ رعيّة البطرك واشتكى علينا الى البابا وانّنا مخالفين الكنيسة ورتبتها . الله يجازيه . وباين رجع الينا وهو يقول انه جاء من رومية ميّت من الجوع بلا زوّاده وباب معهُ بعض اوراق كتب نُوّبات واشيئات ايش تريدهم كان لنا خاطر ان تطبع كتب الكنيسة على يدك كما يريد الله وكما تعرف انت لكن ايش في خاطر البطرك والشرح طويل . وبعد السلام والباقي على الدوام في محبتك الحقير يونان واخوته كل واحد باسمه ومن المطران يعقوب . كُتب في طرابلس ١٤ ايلول سنة ١٥٨٦ مسيحيّة . عبودية محبتك بالمسيح يونان يوسف وسركيس

فيؤخذ من هذه الرسالة انّ الموارنة في رومية باشروا بطبع كتبهم الطقسيّة في غيبة الاب اليانو . وقد سبق انّ الكردينال انطون كافاً كان استدعى لهذه الغاية الخوري يوحنا ايوب الحصروني فنشر بالطبع كتاب الجنازات المعروف بالنويسة . الّا انّ الطائفة كانت في حاجة امسّ الى كتاب القداس والشحيم . وكان الاب اليانو يفكر في تنقيحها وطبعها ويحثّهُ على ذلك الكردينال كافاً لولا انّ الموت عجّلهُ قبل ابراز فكرهِ الى الوجود

وفي السنة ١٥٩٠ قام خلفاً على رئاسة المدرسة المارونيّة الاب ايرونيموس فوروفتي الروماني بعد الاب يوحنا برونو ولا نعلم أكان ذلك بسبب موت الاب برونو أم

١) نظنّ انهُ كان قنصل البندقيّة في طرابلس واحد تجارها

٢) يريد بالعتيقة توراة العهد العتيق

لوظيفة اخرى عُهدت اليه . وبقي الاب فوروفتني ستّ عشرة سنة في تدبير المدرسة (١٥٩٠–١٦٠٦) فجرى على آثار سلفهِ وعُني عناية عظيمة في ترقيتها . وفي اوّل سنة رئاستهِ كتب البطريرك سركيس يطرس الرزّي الى رئيس عام الرهبانيّة اليسوعيّة الاب كلوديوس اكوافيفا يستدعي سبعة من التلامذة الذين كانوا على ما يظهر انهوا دروسهم فحان وقت سيامتهم كهنة . وها هوذا الكتاب :

هذه هي نسخة الكتاب المترجم

البركات المتواترات مع السلام الروحاني الذي خصَّ بهِ سيّدنا تلاميذهُ في الفرقة الصيونيّة فذلك السلام بعينهِ يكون مع الاخ العزيز العالم المعلّي الدين الخيّر المعلّم العامل في وصايا ربّهِ ذو الفهم والعقل والمعرفة صاحب الراي الصالح والتدبير الناجح المتروّس على الجوقة الاطهار اليسوعيّة ابونا المحب الجنرال (كلوديوس اكوافيفا) تكون البركة حالّة عليك وعلى تلاميذك القسوس والشمامسة كل واحد باسمهِ وعلى رزقكم ومقتناكم ويجلّ الرب ويبسط امنهُ وسلامهُ وطاعتهُ ورضاهُ وبركاتهِ وباقي خيراتهِ عليكم وبينكم آمين

والمعروض على المسامع الكريمة كرّمها الله انهُ وصلت الينا اخبار اعمالك الصالحة انت وتلاميذك اولادنا الذين يتعلّمون في المدرسة وفرحنا وانشرحنا غاية الانشراح وخصوصاً في تكريمكم ابن اخي الشماس سركيس الله يجازيكم الخير في ملكوت السماء امين . ونُعلم محبتك بانا ارسلنا نجيب من الاولاد سبعة لمنذ اهلهم والقصد من محبتك ان يكون نظرك عليهم وتوصي فيهم حتّى يصلوا الى بلادهم . وابن اخي الحبيب حضر عندي وهو يقبّل ايديك ويوصيك في اخيهِ سركيس حتّى يكون نظرك عليهِ وتصلّي عليهِ حتّى يصل هو ورفقاه بالسلامة لمنذ اهلهم وبها تسل منهم من الخير تسلوهُ منا . وعند عيشتك فهم يُغني عن طول الشرح ونكرّر البركة عليك وعلى كل من يلوذ بخدمتك امين والشكر لله على الدوام

برز من دير قنوبين في جبل لبنان المبارك

سنة ١٥٩٠

ونكلف خاطرك يا اخي ان تكلم عزيزنا الكردينال خرافان (كرانّا) ان يخلي الاولاد جانين من المدرسة مجبورين الخاطر ولا يتعب علينا في سفر مجيئهم لمنذ اهلهم ومن شان بشة الاولاد

فمن هم يا تُرى هؤلاء السبعة الذين طلب البطرك سركيس الرزّي رجوعهم الى لبنان من تلامذة المدرسة المارونيّة وباكورة اثمارها في خدمة مواطنيهم ؟ ان البطرك سركيس لم يذكر منهم سوى سيّدٍ سركيس ابن اخيهِ . وكذلك الدويهي في تاريخهِ لم

يرو شيئاً عن رجوعهم وانّما ذكر فقط عرَضاً (ص ٤٤٤) «انّ يوحنّا دايس بن يعقوب الحصروني عاد الى لبنان سنة ١٥٩٠ ثمّ لبس لسكيم مار عبدالاحد وصار اسقفاً ». أمّا الخمسة الباقون فنظنّ انهم اوّلاً التلميذان اللذان قدما اوّلاً الى رومية سنة ١٥٧٨ اعني جبرائيل سعد الادنيتي وكسار القبرسي ثم يعقوب بن سمعان الحصروني الذي اتى مع يوحنّا دايس سنة ١٥٨٠. أمّا انطون فرنسيس الحصروني ومرقس بن اسطفان البطوشي رفيقاهُ فان الاوّل كان مات في رومية كما قال الدويهي (ص ٤٤٤) والثاني مرقس طلب الدخول في الرهبانيّة اليسوعيّة فقبلهُ الرؤساء لكنّه توفي قبل دخولهِ الدير بعد ان نذر النذور الثلثة كما اخبر الاب سكّيني في تاريخ الرهبانيّة اليسوعيّة (ج ١ ك ٥ ع ٣٤). ثمّ المدعوّان القس ميخائيل والخوري نعمة الوارد كتابهما الى رئيس عام الرهبانيّة اليسوعيّة بعد رجوعهما الى لبنان ولعلّهما جبرائيل نعمه وميخائيل صليب السابق ذكرهما. وهذا هو المكتوب الذي حرّرهُ هذان الاخيران الى الاب كلوديوس اكوافيفا باسمهما واسم رفقتهما يشكرانهِ ويشكران الرهبانيّة اليسوعيّة التي اهتمّت بتهذيبهم في المدرسة المارونيّة (من سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة):

تقبّل الارض وغني جامتنا تحت موطئ اقدام الاب المتنون الرحوم الطاهر الحاذق الماهر المتلئ نسكاً ومواهب من روح القدس الذي هو مزيّن في جميع الاصطلاحات والفضائل العالي في العلوم الروحيّة الذكيّ في اعمالهِ البهيّة قائد غنم سيّدهِ يسوع المسيح في الطريق المستقيمة مرشد الناس الى طريق الحياة السراج المضيء بين الشعوب والشمس التي بشعاعها تضيء الدنيا وجميع اقطارها القمر البهيّ بين النجوم حافظ الوصايا الالهيّة عود البيعة القاتوليقيّة السائر في الطريق الابوسطليّة وهو معلّمنا وابونا وعزّنا ورافع طائفتنا نحن الموارنة وتاج رأسنا الجنرال (كلوديوس اكوافيفا). يرحمنا الرب نحن الحقيرين في تلاميذك الكهنة الرهبان الخوري نعمة والقس ميخائيل في بركة صلاتك المقدّسة امين. ادام الله محبّتك علينا ورئاستك على طائفتنا وعلى مدرستنا نحن الموارنة زمناً طويلاً وايّاماً كثيرة امين

ونُعلم روحك اننا وصلنا نحن وارفاقنا الى بلادنا طيّبين بعون الله وبركة صلواتك المقدّسة امين. اخوتنا الرهبان شاكرين فضلك واحسانك عوّض الله عليك الخير الذي عملتهُ معنا ومع ديورتنا يجازيك الله عوضاً عنّا في ملكوتهِ السماوية امين. ونُعلم قداستك اننا قبل ما نظهر من المدرسة بيومين كنّا مشتاقين ان تتبارك من قداستك وسألنا المدبّر لكي يسمح لنا بذلك فقال لنا انّ قداستك رحت الى برّا المدينة. واما نحن تلاميذك الرهبان ما دمنا طول ايّام حياتنا ساكنين في ديورتنا ما ننسى فضلك واحسانك وحنّيتك علينا برّا بلادنا. وما نحتاج ان نوصي قداستك بالأولاد (الباقين في رومية) لان الاب لا يحتاج الى وصيّة باولادهِ لانّهم اذا كانوا

مريضين طيّبين الخاطر جميع ايّام حياتهم يطلبون لك الخير . وسبب تحرير هذه الرسالة هو كثرة الاشواق الى نظر ايقونتك البهيّة الله يسمّنا عن قدومك الاخبار الصالحة

الحقير القس ميخائيل والخوري ضمه
في ٢٩ آب سنة (الف وخمسمائة) وتسعين مسيحيّة

ولا نشكّ في انّ هؤلاء السبعة بعد رجوعهم اخذوا يفلحون كرم الرب بنشاط ويسعون في خير طائفتهم . الّا انّ آثار تلك الازمنة لا تكاد تروي شيئاً عن اعمالهم وسوف ندوّن مع جدول اسمائهم ما عثرنا عليه من اخبارهم

وفي السنة ١٥٩٣ رجع الى لبنان جرجس عميره الذي صار بعد ذلك بطركاً على الطائفة . فهذا بعد وفاة الاب اليانو اهتمّ مع بعض رفقته بطبع كتاب القدّاس الماروني في مطبعة الديشيس في رومية فطبع سنة ١٥٩٤ طبعاً متقناً بحرف سرياني جميل ونقوش وصور الّا انّهم لم يحسنوا انتخاب المخطوطات التي مثّلوها للطبع فنشروا نوافير بعض اليعاقبة ولم يصلحوا ما فيها من آثار هرطقتهم واذ لم يكن في رومية من يُحسن اللغة السريانيّة لم تنقّح هذه الشوائب . على انّ المجمع المقدّس شعر بهذا الخلل ولم يسمح بنشر الكتاب الّا السنة ١٦٠٨ وفي آخره ترجمة مار مارون منقولة الى السريانيّة عن ناودوريطس بقلم ثلثة من تلامذة المارنة في رومية هم جرجس الكرمداني وميخائيل الادنيتي وجبرائيل الصهيوني

وفي الصفحة ٢٨٦ انّ الكتاب طُبع في رومية باذن الرؤساء في السنة الرابعة لاقليمس الثامن في زمن الكردينال باليوتي (الذي خلف الكردينال كرافا في حماية المارنة) وفي عهد البطريرك سرجيوس الرزّي

وقد جاء نشر هذا الكتاب المنقوط احسن مجرّ لما وُشي به الاب جوان باطشتا اليانو حيث قيل عنهُ انّهُ انّهم في رومية الطائفة المارونيّة واشاع عن كتبهم الطقسيّة ما لا صحّة لهُ مع ما نعرفهُ من خلوص محبّة الاب اليانو للموارنة ودفاعهِ عنهم وتفانيهِ في خدمتهم . وعليهِ يسوّغنا ما رواه الدويهي في تاريخهِ عن البطريرك سرتكيس (ص ١٨٢ — ١٨٣) قال :

وفي السنة ١٥٩٦ (١٠٠٥ ه) في الثامن عشر من ايلول امر البطريرك (سركيس الرزّي) بالتئام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبّة وعلماء الطائفة وبعد قراءة مكتوب البابا (اقليمس الثامن) برهن امامهم وامام قعّاد الكرسي الرسولي انّ اخاهُ البطريرك ميخائيل والطائفة كلها ابرياء

من التهم التي اتّهمهم بها باطلاً جوان باطستا . ولمّا وقف الاب دنديني على اقرار علماء الطائفة وفحص الكتب التي كان وقف عليها روسيها بخطّهِ تحقّق انّ كلّ ما اتُّهموا به هو محض تجنّ

فالعجب كلّ العجب من البطريرك سركيس لاحتجاجهِ على الاب اليانو في ما قالهُ عن كتب الموارنة وهو كان احد الشهود العيان في فحص هذه الكتب معهُ ولا نطلب ردًّا على قولهِ سوى هذا الكتاب المطبوع قبل تجتيهِ بسنتين مع اسمهِ الكريم وبمساعي ابناء طائفتهِ . ولو كان اطّلع عليهِ الاب دنديني لكان امكنهُ ان يدافع عن شرف اخيهِ السنيور الرسولي الاب اليانو الذي كان اعلم منهُ بالسريانيّة والعبرانيّة والعربيّة

واعجب من ذلك كيف نفى البطريرك بسركيس ما كتبهُ عن شقيقهِ وسلفهِ البطريرك ميخائيل الوزّي ناكرًا ما اقرَّ بهِ عن كتب الموارنة التي افسدها الهراطقة وهو القائل في المكتوب الذي نشرناهُ سابقاً (ص٥٣—٥٤) الى ونيس الرهبانيّة اليسوعيّة حيث يثني كل الثناء على الاب اليانو ويطلب منهُ ان يرسلهُ ثانياً الى لبنان وهناك يقول : « انهُ (اي الاب اليانو) قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط » . وجاء مثل ذلك في تقرير الاب اليانو الذي قدّمهُ للحبر الاعظم وفيهِ يذكر الكتب التي وقف عليها فوجدها ملوّثة بالاضاليل على انّهُ لم ينسب ذلك الى سوء نيّة او هرطقة صوريّة بل الى الجهل وبعض الظروف فقال (ص٢٩) : « انهُ بتمادي الزمان وبسبب اختلاطهم مع الامم والطوائف المخالفة لدينهم قد تسرّبت الى كتبهم بعض الاضاليل ودخل في طقوسهم ورتبهم بعض الشوائب التي سبّبها قلّة المعلّمين الذين يُعتنون بارشادهم . . . وقد دوّنّا هذه النصوص المضادّة للحقائق الكاثوليكيّة » . ونحن بيّنّا سابقاً انهُ يوجد الى اليوم في مكاتب اوربّة مخطوطات مارونيّة كالتي وصفها الاب اليانو . وكفى بهذا تزكيةً لذلك الرجل العظيم الذي تشهد لهُ كلّ آثارهِ الباقية الى اليوم وتنبئ بغيرتهِ في خدمة الطائفة المارونيّة ولو لم يكن لهُ من الفضل الّا سعيهُ في انشاء المدرسة المارونيّة في رومية لكان ذلك اكبر دلائل محبتهِ نحوها

(له تابع)